

Semantic Study of the Death by Emphasis on Relations of Linguistical Replacements: Semantic linguistics study

Majid Saleh Bek^{1*}, Saeid Savari²

1. Associate Professor, Arabic Department, Allameh Tabatabaei University, Tehran, Iran

2. Ph.D. Candidate, Arabic Department, Kharazmi University, Tehran, Iran

Abstract

The concept of Death is one of the most elevated points of view of Arab poets of Pagan era which scholars of Arabic literature try to study it by putting aside linguistics and its mechanism and more emphasis on psychological and historical stylism. Thus, this essay is aimed to study the concept of death by semantics readings because the semantic function of the words and means of distinctions is used to better understanding of the poetry meaning and thereof by Descriptive Analytical method and emphasis on Replacement law and it's ways such as verbal, nominal and letter replacement, to clarify the relation between Death and Replacement law, importance of linguistical succession and Means of linguistical distinctions in literary texts. This study states that Pagan era poetry is closely related to Replacements and linguistical mechanisms , for it is each linguistical function of each word that replace and utilizes the meaning according to its nearest different forms so that the importance of replacement or differentiation of semantic distinctions between linguistical mechanisms, multiplication of semantic linguistical distinctions and semantic application and meanings and forming of linguistical coherence in texts because linguistical replacement are different in importance, function and meaning. Accordingly, the concept of death in Pagan era literature and it's relation with means of distinction and linguistical replacement is a conflict and struggle between mundane and hereafter redemption, war and carnage, matter of counsel and Advisability from events and tragedies of the time and preparation for the afterlife.

Keywords

Concept of death, Pagan era poetry, Means of linguistical differentiation, Replacement.

* **Corresponding Author, Email:** msalehbek@gmail.com

القراءة الدلالية للموت في الشعر الجاهلي على ضوء علاقة الاستبدال اللغوي

مجيد صالح بك^١، سعيد سواري^٢

الملخص

تعدّ دلالة الموت من أبرز النزعات في حياة العصر الجاهلي عند شعراءها فيما سعى الباحثون في الأدب العربي معالجتها انطلاقاً من المنهج التاريخي والنفسي، طارحين اللغة بوظائفها، بعيداً عن تمايز الوظائف اللغوية بعضها بعضاً في اللغة العربية وذلك لقراءة دلالة الموت فلها اندفع البحث يتناولها انطلاقاً من القراءة الدلالية لأنّ علم الدلالة يدرس وظيفة الكلمات وميزتها وصولاً إلى الدلالة في حين ينتهج المنهج الوصفي التحليلي معتمداً على علاقة الاستبدال بأقسامها الفعلية والاسمي والحرفي باعتبار علاقة الاستبدال اللغوي منهج لغوي لهذه الورقة البحثية ويتطرق إلى تتبع ارتباط دلالة الموت بالاستبدال وإلى تبيين ميزة الاستبدال اللغوي والتمايزات اللغوية في العمل الأدبي لفهم دلالة الموت. وبالنسبة إلى الأهداف يرمي إلى الوقوف على دلالة الموت وتمحيصها بناءً على الوظائف اللغوية، وتقديم قراءة جديدة لدلالة الموت في الشعر الجاهلي وذلك بناءً على علاقة الاستبدال اللغوي، مضيفاً إلى الوقوف على التمييز بين الدراسات اللغوية وبين غيرها في قراءة دلالة الموت في الشعر الجاهلي. هذا وقد توصل البحث إلى أنّ دلالة الموت في الشعر الجاهلي مرتبطة بالاستبدال والوظائف اللغوية لأنّ الوظيفة اللغوية لكل كلمة هي التي تؤسس المعنى اعتباراً من اختلافها مع الوظيفة المتشابهة لها ولهذا كانت العلاقة بين دلالة الموت والاستبدال اللغوي وظيفية لغوية دلالية للتعبير عن دلالة الموت، بحيث إنّ ميزة الاستبدال اللغوي لاستيعاب دلالة الموت هي التفريق الدلالي بين الوظائف اللغوية وتنوع التمايزات اللغوية واستخداماتها ودلالاتها علاوةً على تماسك النص اللغوي لأنّ الاستبدال اللغوي تختلف من حيث الميزة والوظيفة والدلالة. أمّا دلالة الموت في الشعر الجاهلي من حيث تنوع المعاني وذلك بناءً على التمايزات والاستبدال اللغوية كانت للشاعر تعبيراً عن الصراع بين الخلود في الدنيا والآخرة وبين الحرب والقتال، كما كانت اعظماً من حوادث الدهر بمصائبها وتمهيدا للآخرة.

الكلمات المفتاحية: دلالة الموت، الشعر الجاهلي، التمايزات اللغوية، الاستبدال.

١. أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة العلامة الطباطبائي - طهران (الكاتب المسؤول). msalehbek@gmail.com

٢. طالب الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمي - طهران.

المقدمة

تُعدّ دلالة الموت من أبرز المشاعر والأحاسيس التي ظهرت عند شعراء العصر الجاهلي وتداولوها رؤيةً وتعبيراً، وشغلت معتقد الإنسان الجاهلي، وتناقلت في شعرهم بشتى المقاصد لأنها كانت متمثلة وشاحصة في كل لحظة وفي كل شبر من حياتهم فهي تغطّي مساحة كبيرة من أشعارهم وتعايرهم ولهذا أباونا عنها بشتى الأساليب من حيث السبل التعبيرية واللغوية مستخدمين في ذلك وظائف اللغة وتمايزاتها. ومن هذا المنطلق وبناءً على علم الدلالة اعتمد البحث على المناهج النقدية اللغوية الحديثة لأنّ النقد الأدبي الحديث قد عوّل في كثير من الدراسات الأدبية على المناهج اللسانية بما فيها الشكلانية والبنوية والأسلوبية، وعلم الدلالة الذي «يدرس معنى الكلمات ووظيفة الكلمات ونقل المعنى يقع على عاتق هذه الوظيفة» (جيرو، ٢٠١٧: ٩).

فاللغة حسب تعبير هذه المناهج بميزاتها ووظائفها هي التي تؤسس الدلالة لأنّ المنشئ عند ما يبني كلمةً بوظيفة وميزة ففي الحقيقة يستعيض كلمة بكلمة أخرى نظير استبداله (تعرفّي) بـ(عزّي)، وكاستعاضته (الخلود) بـ(الخالد) وذلك لغرض الدلالة المستهدفة لأنّ لكل كلمة وظيفة وميزة تميزها عن الأخرى في نقل المعنى. فللغوي على الدلالة الموجهة بما فيها دلالة الموت في الشعر الجاهلي الأخرى أن يتناول القارئ ميزة الوظيفة اللغوية المختلفة عن الوظيفة اللغوية الأخرى إضافةً إلى الحصول على انسجام النص.

وتستدعي ضرورة البحث تناول دلالة الموت في الشعر الجاهلي بناءً على تمايز الوظائف اللغوية بعضها بعضاً والالتفاف حول ميزة لغوية بارزة في تحديد دلالة الموت بمختلف معانيها.

وتم اختيار معالجة هذه الأشعار بناءً على أنّ فيها مادةً دراسيةً من حيث الشعر تنطبق ودلالة الموت وعلاقة الاستبدال اللغوي بحيث تتناسب الأبيات من حيث دلالة الموت وعلاقة الاستبدال اللغوي في هذا البحث، استخرجت منها شواهد لغوية ملائمة بين دلالة الموت والاستبدالات اللغوية وتسوّى اتساق الاستبدالات اللغوية ودلالة الموت وتيسر الإطلاع على تمايز الوظائف اللغوية بعضها بعضاً في استيعاب دلالة الموت في الشعر الجاهلي.

خلفية البحث:

وبالنسبة للبحوث المتعلقة بدراسة الموت في الشعر الجاهلي عثر البحث على ما يلي من الدراسات:

١. كتاب تحت عنوان "الموت في الشعر الجاهلي" انتشر في عام ١٩٩١ في القاهرة.
٢. بحث بعنوان "الفارس والموت في الشعر الجاهلي" تم مناقشته بقسم اللغة العربية وآدابها لكلية الآداب بجامعة اليرموك في عام ١٩٩٧.

٣. مقال تحت عنوان "الموت والحياة في شعر الشعراء العرب" نشر في فصلية «دانشنامه» المحكمة العدد ١ ربيع سنة ٢٠١١.
٤. رسالة تحت عنوان "الموت والحياة في وجهة نظر شعراء العصر الجاهلي" نُشرت بمركز الدراسات الثقافية والعلوم الإنسانية عام ٢٠١١.
٥. مقال بعنوان "ظاهرة الموت عند المرأة في الشعر الجاهلي" نشر في المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، العدد ٧، سنة ٢٠١١ تشرين الأول.
٦. بحث بعنوان "اسطورية الموت المحتوم في الشعر الجاهلي" تم عرضه على موقع مجلة عود الند، فصلية ثقافية، العدد ٩١، السنة ٨، عام ٢٠١٤.
٧. بحث تحت عنوان "الموت في المعلقات السبع" تم مناقشته بقسم الآداب واللغة العربية لكلية الآداب واللغات في جامعة محمد خيضر، الجزائر، عام ٢٠١٥.
٨. مقال بعنوان "المعدّب في الشعر الجاهلي" نشر بمجلة الآداب لجامعة البعث، العدد ٦٩، عام ٢٠١٧.
٩. بحث على مستوى رسالة الماجستير في الأدب العربي لجامعة المدينة العالمية بعنوان "ذكر الحياة والموت في شعر طرفة بن العبد".

فجميع هذه الدراسات لم تدرس دلالة الموت في الشعر الجاهلي على ضوء المنهج الدلالي اعتباراً من علاقة الاستبدال اللغوي ولم تُعن بتأثير الاستبدالات اللغوية وتوليد دلالة الموت. فالفارق بين هذه الدراسة والدراسات الأخرى هو معالجة تأثير التمايزات اللغوية في إنشاء دلالة الموت في الشعر الجاهلي.

ولذلك يتسم هذا البحث بالأمر التالي:

١. بأنّه لغوي بحثٌ ينطلق من التمايزات اللغوية لتحليل دلالة الموت.
٢. بأنّه يرى أنّ استبدال ميزة لغوية بعنصر آخر هي التي تؤسس دلالة الموت إضافةً إلى اتساقها بالعمل الأدبي اتساقاً لغوياً.

الأهداف والأسئلة والفرضيات:

وبالنسبة للأهداف فيرمي البحث إلى:

١. الوقوف على دلالة الموت وتمحيصها بناءً على الوظائف اللغوية.
٢. تقديم قراءة جديدة لدلالة الموت في الشعر الجاهلي وذلك بناءً على علاقة الاستبدال اللغوي.

٣. الوقوف على التمييز بين الدراسات اللغوية وبين غيرها في دراسة دلالة الموت في الشعر الجاهلي.

أما الأسئلة فهي:

١. ما العلاقة الموجودة بين دلالة الموت في الشعر الجاهلي والاستبدال اللغوي؟

٢. ما هي ميزة الاستبدال اللغوي في فهم دلالة الموت في الشعر الجاهلي؟

٣. ما الذي تؤسسه التمايزات اللغوية في بناء دلالة الموت؟

أما الفرضيات وذلك بناءً على الأسئلة فهي:

١. دلالة الموت في الشعر الجاهلي مرتبطة بالاستبدالات والوظائف اللغوية لأنّ الوظيفة اللغوية لكل كلمة

هي التي تنقل المعنى اعتباراً من اختلافها مع الوظيفة المتشابهة لها وذلك باستبدالها بوظيفة أخرى ولهذا

كانت العلاقة بين دلالة الموت والاستبدال اللغوي وظيفية لغوية دلالية للتعبير عن دلالة الموت.

٢. ميزة الاستبدال اللغوي في فهم دلالة الموت في الشعر الجاهلي هي التفريق الدلالي بين الوظائف

اللغوية التي تنشئ الدلالات للوصول إلى معنى الموت.

٣. تؤسس التمايزات اللغوية تنوع الاستخدامات اللغوية لاستيعاب دلالة الموت علاوةً على تماسك

النص الذي ينتهي وييسر فهم دلالة الموت.

الاستبدال وأنواعه

التمايزات والوظائف اللغوية المختلفة هي التي تبني الدلالة اعتباراً من استبدال عنصر لغوي بعنصر آخر، وإلى حد

ذاتها تعتبر ميزة فريدة في اللغة العربية لتناول الدلالة، وبالفعل تُعدّ سمة بارزة من حيث التنوع الوظيفي اللغوي

لاستبدال الوظائف اللغوية بالمشابهة لها من حيث الدلالة إذ إنّ «الاستبدال عملية تتم داخل النص، إنّه تعويض

عنصر في النص بعنصر آخر. فعلاقة الاستبدال تتم في المستوى النحوي-المعجمي بين كلمات أو عبارات. ويعتبر

الاستبدال وسيلة أساسية تعتمد في اتساق النص» (خطابي، ١٩٩١: ١٩). مضيفاً إلى إثراء العمل والقارئ الدلالات

وذلك انطلاقاً من استبدال العناصر اللغوية بعنصرها المتشابه من حيث الدلالة والوظيفة اللغوية.

فاستمداد القارئ من تمايز وظيفة لغوية عن وظيفة أخرى واستبداله عنصراً لغوياً بعنصر آخر يمتّانه في الحصول

على الدلالة والوصول إلى اتساق النص اللغوي ذلك «أنّ الاستبدال قائم في النحو القديم على اعتبار أنّ

الجملة الخبرية هي الشكل الأساسي» (عامر، لا تا: ٨) و«على أنّه عدول أو استبدال من الجملة الخبرية»

(الراجحي، ١٩٨٦: ١٠٢).

هذا من جانب وينقسم الاستبدال إلى «١- الاستبدال الفعلي ٢- الاستبدال الاسمي ٣- الاستبدال القوي» (خطابي، ١٩٩١: ٢٠). فيما تعود أسباب الاستبدال إلى «١- إنشاء كلمات جديدة حيث يكون الاستبدال وسيلة، أو عملية لخلق كلمات جديدة على مستوى الصرف والدلالة وذلك عن طريق استبدال العنصر بلفظه، أو استبدال العنصر بمرادفه التام، أو استبدال العنصر بمرادفه الشبيه بالتام، أو استبدال العنصر بالاسم المطلق أو العام الذي يتضمنه ويحتويه» (حسان، ١٩٧٩: ٧٥-٧٦). أو إلى «٢- الترابط المعجمي، والذي يصور مدى الموافقة والانسجام، ومن ثمّ يساعد على التماسك المعجمي بين مفردات النص إضافةً إلى ٣- تنوع المواقف الدلالية واحتجاب التكرار والاستبدال اللغوي حيث يستبدل مركب فعلي بمركب فعلي آخر مع وجود علاقة بالمواقف الدلالية فينوّع الاستبدال الدلالة» (عامر، لاتا: ١١-١٣).

فالاستبدال اللغوي يهدف إلى ١- الترابط المعجمي ٢- انسجام النص ٣- احتجاب التكرار ٤- تنويع الدلالة فيما يوحد النص لغةً ودلالةً ويثري العمل الميزة الأدبية من أجل تمييز العمل الأدبي مع النصوص الأخرى لأنّ العمل الأدبي يعوّل على السمات الأدبية واللغوية.

أمّا تقسيمات الاستبدال فيُضيف الباحثون الاستبدال الحرّفي متناولين دلالة الموت وانسجام العمل بالاستبدال الفعلي والاسمي والحرّفي لفهم دلالة الموت.

الاستبدال الفعلي

استبدال الفعل بالفعل

أ) استبدال المجرد بالمزيد

قَدْ سَقَاهُ الزَّمَانُ كَأْسَ حِمَامٍ وَكَذَاكَ الزَّمَانُ يَسْقِي السَّحَابًا

(التبريزي، ١٩٩٢: ١٣٨)

استبدل عنتر بن شداد المجرد بالمزيد "أفعل-أسقى" للدلالة على إخفاض ألم الموت لأنّ «الإسقاء أبلغ من السقي» (الزبيدي، ٢٠١١: ٢٩٠/٣٨). ولأنّ "الإسقاء" فيه زيادةً في المعنى حين وقع على الإفعال بما أنّ «الزيادة في (أفعل) أفادت معنى لم يكن قبل» (ابن يعيش الموصلي، ٢٠٠١: ٤/٤٣٢).

إن كان يستبدل "أسقى" ب"سقى" فوقع ألم معاناة الحياة من المصيبة يكون أكثر إيلاها بالمخاطب ولهذا أهمل المزيد عدولا عن زيادة المعنى وباستخدامه المجرد "سقى" قلل شدة الألم لمصائب الحياة وذلك على ضوء اختياره المجرد وبحسب هذا فضّل الدلالة.

أما هذا الاستخدام لغةً يعود إلى اجتناب التكرار في الشطر الأول والثاني بتوظيف صيغتين متماثلتين "سقى. يُسقى" إضافةً إلى تنوع الدلالة.

(ب) استبدال المزيد بالمجرد

١. تَعَرَّفَنِي الدَّهْرُ نَهْسًا وَحَزًّا وَأَوْجَعَنِي الدَّهْرُ قَرْعًا وَعَمَزًّا

(طماس، ٢٠٠٤: ٦٩)

استبدلت الخنساء "تعرفني" بـ"عرفني" للدلالة على أنّ الدهر حملها المعاناة وقطع فؤادها إيلاها من الدنيا لأنّ «التفعل بمعنى التكلف والاتخاذ» (ابن يعيش الموصلي، ٢٠٠١: ٤/٤٣٧)، يتناسب وشدة الدخول في المعاناة لما جرى عليها من موت أخيها.

واستخدام عبارة «تعرفني الدهر نهسا وحزا» بمعنى «أخذ الدهر منها نهسا وحزا» أقوى وأشد للتعبير عن موت أخيها، و«تعرفته الخطوب بمعنى أخذت منه» (الزبيدي، ٢٠٠١: ٢٦/١٥١).

أما الغرض اللغوي فيعود إلى إنشاء المادة اللغوية والجانب الصبري معاً.

٢. أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ تُبَعًّا وَأَهْلَكَ ذَا الْقَرْنَيْنِ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى وَأَهْلَكَ لِقَمَانَ بَنَ عَادٍ وَعَادِيَا وَفِرْعَوْنَ، جَبَّارًا طَغَى، وَالنَّجَاشِيَا

(طماس، ٢٠٠٥: ٧٦-٧٧)

استبدل زهير بن أبي سلمى "أهلك" بالمجرد "هلك" للدلالة على «الدخول في الشيء» (يعقوب، لاتا: ١٢٨) بحيث إنّ كلاً من "تبع ولقمان وعاد وذا القرنين" صاروا إلى الموت وأدخلوا في الموت لأنّ "الإفعال" يأتي «للتعرض للشيء ولصيورة الشيء، ويأتي أن يجعل بسبب منه» (ابن يعيش الموصلي، ٢٠٠١: ٤/٤٣٨). هذا يعني أنّ هؤلاء عرضوا للموت وتحولوا من الحياة إلى الموت.

فالشاعر أدخل الفعل "هلك" في التعديّة وذلك لمفاعيل؛ "تبع، لقمان، ذي القرنين" للإبانة عن شدة هلاكهم موتاً لأنّ الهلاك «يدل على كسرٍ وسقوطٍ ويقال للميت هلك» (بن زكريا، ١٩٧٩: ٦/٦٢). و«لأنّ الهلاك فُسِّرَ على الموت» (الزبيدي، ١٩٩٣: ٢٧/٤٠٠).

أما استخدام "أهلك" على وتيرة واحدة فناجم عن الترابط المعجمي للانسجام بين المفردات لأنّ الضمير في هذه الأفعال واحد يزيد من الاتساق بينها.

٣. فَلا أَنَا يَا تَيْبِي طَرِيفٌ بِمُفْرَحَةٍ وَلَا أَنَا مِمَّا أَحَدَتْ الدَّهْرُ جَانِغٌ

(الحقي، حنا، ١٩٩٣: ١١٠)

واستبدال المزيد "أحدث" بالمجرد "حدث" بواسطة لبيد بن ربيعة في هذا البيت يدل على شدة وقع الدهر على الإنسان لأنّ الإفعال وسيلة دلالية تجلب معنى إلى معنى. أمّا الغرض اللغوي فهو لإنشاء كلمة صرفية تزيد من تلقي معنى الموت.

٤. أَقَمْتُ بِصَارِمِي سُوقَ الْمَنَائِيَا وَنَلِثْتُ بِذَائِلِي السُّرْتَبِ السَّعْلِيَّةِ

(الخطيب التبريزي، ١٩٩٢: ٢١٨)

قام عنتر بن شداد في هذا الشاهد باستبدال "أقمت" بـ"قمت" لأنّ "الإقامة" أبلغ من "قام" في التعبير عن استمرار القتل والموت؛ لأنّ "أقام" بمعنى "أدامه" (الزبيدي، ١٩٩٣: ٣٣/٣١٠).

والأمر الآخر للاستبدال بـ"الإفعال" يعود إلى توازي فعل الشطرين "أقام.نال" تعديةً إلى المفعول لأنّ باب "الإفعال" يستعمل لتعدية (يعقوب، لا تا: ١٢٨). ولأنّ فعل "نال" متعدٍ بنفسه إلى المفعول بحسب ما جاء في مقاييس اللغة: «نلته نولاً مثل أنلته» (ابن زكريا، ١٩٧٩: ٥/٣٧٢). فإن كان يستبدل المجرد بالمزيد فلا يتعدى فعل المجرد "قمت" إلى المفعول المباشر لأنّه جاء يتعدى «بالباء وقد يعدى بعلى وبفي» (الزبيدي، ١٩٩٣: ٣٠٨-٣٠٧/٣٣).

فالشاعر استبدل هذه الصيغة للتنويع بين الفعلين من حيث الصيغة الصرفية.

٥. فَلَا جَزَعٌ إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا وَكُلُّ فَتَى يَوْمًا بِهِ الدَّهْرُ فَاجِعٌ

(الحي، ١٩٩٣: ١١٠)

استبدل لبيد بن ربيعة المزيد "فرّق" بالمجرد "فرّق" للإبانة عن معنى الانفصال التدريجي بينه وبين محبوبته وذلك بواسطة صروف الحياة تطاولاً في الزمن على أنّ التفعيل «أكثر ما يكون لتكرير الفعل بمعنى أنّ هذا الفعل وقع شيئاً بعد شيء على تطاول الزمان» (ابن الجني، ١٩٥٤: ٩١/١). فجاء هذا الاستخدام للمبالغة الموجودة فيه وللدلالة على كثرة الفراق بين المحبوبين حيث يأتي التفعيل «للتكثير وهو الغالب» (ابن يعيش الموصلي، ٢٠٠١، ٤/٤٣٩).

فدلالة التفريق بصيغة التفعيل أكثر انفصلاً وأكثر مبالغة من المجرد "فرق".

٦. وَتَقَاتَى بَنُو أَبِيكَ فَاصْبَحَتْ عَقِيرًا لِلدَّهْرِ أَوْ كَالعَقِيرِ

(يعقوب، ١٩٩١: ٧٠)

وظّف الحارث بن حلزة "تقاتى" بدلاً من "فني" للدلالة على المشاركة في أمر القتل والموت حيث يأتي «التفاعل لما يكون من اثنين فصاعداً» (ابن يعيش الموصلي، ٢٠٠١، ٤/٤٣٨).

فالشاعر يثبت زيادة معنى المشاركة في أمر القتل والموت بالمزيد لأنه «لكل حرف من حروف الزيادة معنى يؤديه، وفائدة يجلبها معه بحيث تحويل الفعل إلى صيغة تفاعل قد تفيد الدلالة على المشاركة» (حسن، ١٩٧٥: ٧٥/٤). فهؤلاء المقاتلون كانوا مشاركين في القتل حتى نيل الموت.

٧. فهم يتساقون المَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ بأيديهم بيضٌ رقائق المَضارِبِ

(الحتي، ١٩٩١: ٣٢)

استبدل النابغة الذبياني "يتساقون" بـ"يسقون" للدلالة على أنّ المقاتلين يشرب بعضهم بعضاً الموت مشاركين «يقتحمون الموت بشجاعة لا يهابونه» (الحتي، ١٩٩١: ٣٢)؛ لأنّ التفاعل «للاشتراك في الفاعلية لفظاً وفي المفعولية معنى» (يعقوب، لا تا: ٢٦٥).

فعبّر عن شدة المشاركة في الموت وذلك باستبداله المزيد بال مجرد.

ج) استبدال المزيد بالمزيد

إذا استُنزِلوا عَنَّهُنَّ لِلطَّعْنِ أَرْقَلُوا إلى الموتِ إِرْقَالَ الجَمَالِ المِصَاعِبِ

(الحتي، ١٩٩١: ٣٢)

استبدال "استنزوا" بـ"أنزلوا" يدلُّ على أنّ النابغة الذبياني يصور الطلب للنزول في ساحة الضرب، والطعن، ويطلب القتل والموت لأنّ الاستفعال يأتي "للطلب" (ابن جني، ١٩٥٤: ٧٧/١). إضافةً إلى ما فيه من معنى التحول من الحياة إلى الموت لأنّ الاستفعال يُستخدم بمعنى «الطلب في التكلّف والتحوّل من حال إلى حال» (سيبويه، ١٩٨٨: ٧٠/١-٧١).

فتحول الرجال إلى مقاتلين يطلبون الموت في الحرب كما جاء في العين "أنزلوا للحرب" (الفراهيدي، ٢٠٠٣: ٢١٣/٤).

استبدال الفعل بالاسم

أ) استبدال المضارع باسم الفاعل

١. وكلُّ ذي عَـبِيَّةٍ يـؤُوبُ وغائبُ الموتِ لا يـؤُوبُ

(عدرة، ١٩٩٤: ٢٢)

استبدال عبيد بن الأبرص الفعل المضارع "يؤوب" في الشطر الأول باسم الفاعل للدلالة على ديمومة عودة الغائب في الحال أو المستقبل لأنّ المضارع يدل «على الحال والمستقبل» (السامرائي، ٢٠١٣: ٢٨٠/٣)، ويشترك فيه الحاضر والمستقبل «مستثناً عودة الميت (الزنجشيري، ٢٠٠٤: ٢٤٤).

فيعتقد الشاعر في الشطر الثاني بعدم عودة الميت في المستقبل وهذا يعني أنّه خائب الأمل لرجوعه.

والخلاف بين المضارع واسم الفاعل في الشطرين "أثب" و"غير آثب" أو "ليس آثباً".

٢. فالعَيْنُ بَعْدَهُمْ كَأَنَّ جِدَاقَهَا سُمِلَتْ بِشَوْكِ فَهِيَ عُورٌ تَدْمَعُ
(الضبي، ١٩٩٢: ٤٢٢)

التعبير عن المضارع هو للاستمرار وللدمومة بحيث استبدل أبو ذؤيب "تدمع" بـ"دامع" ليعين دلالة ديمومة البكاء والدمع الدائم؛ لأنه أوقع وأبلغ في المعنى من حيث الدلالة على الحزن وذلك لتصوير نزيف الدموع المستمر الذي جاء إثر الفراق الحادث من قبل الموت.

الاستبدال الاسمي

استبدال الاسم بالفعل

أ) استبدال الصفة المشبهة بالمضارع المتكلم

وَهَا أَنَا مَيِّتٌ، إِنَّ لَمْ يُعَيِّي عَمَلَى أَسْرٍ السَّهْوَى الصَّبْرُ الْجَمِيلُ
(التبريزي، ١٩٩٢: ١١٧)

استبدل عنتره بن شداد الصفة المشبهة "ميت" بالمضارع "أموت" دلالة على ثبوت الاعتقاد بالموت وعلى حال علقت على ذاتٍ مطلقاً والمراد بالاطلاق نسبة الحالة إلى الموصوف بدون اعتبار الزمان بخلاف اسم الفاعل لأنَّ استبدال الصفة المشبهة بالفعل «يدل على الثبوت» (السامرائي، ٢٠١٣: ١٥/١).

فهذا الاستبدال أكثر دلالة في تأسيس دلالة الموت والتعبير عن الاعتقاد الثابت بوقوع الموت فالشاعر لا يخشى الموت ولا يهرب منه معتقدا بوقوعه.

ب) استبدال اسم الفاعل بالمضارع الغائب

١. يَسْعَى وَيَجْمَعُ جَاهِدًا مُسْتَهْتَرًا جِدًّا، وَلَيْسَ بِأَكْلٍ مَا يَجْمَعُ
(الضبي، ١٩٩٢: ١٤٨)

استبدال "أكل" بـ"يأكل" بواسطة عبدة بن الطيب دلالة على نفي ثبوت نعيم الدنيا والتنعم منها لأنَّ دلالة اسم الفاعل أقلَّ ثبوتاً في نسبة الحالة إلى الموصوف بسبب اعتبار الزمان بخلاف الصفة المشبهة وكذلك بالنسبة إلى الفعل المضارع يشمل الحال والمستقبل فهذه دلالة على أنَّ عدم التنعم الأبدي بنعيم الدنيا أمر ثابت حيث يعتقد الشاعر بأنَّ النعيم ليس في الدنيا بل في الدنيا الأخرى.

٢. قِتَالَ امرئٍ قَدَ أَيَقَنَّ السدهرَ أَنّه مِن الموتِ لا ينجو ولا الموتُ جانفٌ

(الضي، ١٩٩٢: ٢٨٢)

وهذا نموذج آخر لاستبدال اسم الفاعل بالمضارع إذ استعاض ثعلبهُ بن عمرو العبيدي "جانف" بـ"يجنف" للتعبير عن أنّ الموت في حكمه ثابت لا يميل ولا يتنازل؛ لأنّ "الجانف" من "جنف" فهو بمعنى «الميل والانحناء» (ابن زكريا، ١٩٧٩: ٤٨٦/١) و«أصله ميلٌ في الحكم» (الراغب الإصفهاني، ٢٠٠٧: ١٠٨).

استبدال الاسم بالاسم

أ) استبدال المصدر باسم الفاعل

إِنَّ الشَّرَاءَ هُوَ الخُلُودُ، وَإِنَّ السمرَّ يَكْرِبُ يَوْمَهُ السعدَمُ

(ناصرالدين، ٢٠٠٢: ٦٩)

فجاء الخلود في البيت بواسطة طرفة بن العبد مصدرا علد وزن فُعول للدلالة على المبالغة في الخلود و«المصدر الأصلي هو ما يدل على معنى مجرد» (حسن، ١٩٧٥: ١٨١/٣). وإنّ «الحدث المجرد هو للمبالغة» (السامرائي، ٢٠١٣: ١٧٦/١)، فهذا يعني أنّ الخلود ينحصر في الموت ولهذا جاء استبدال الخلود بالخالد للدلالة على خلود الحياة بعد الموت فالشاعر علاوة على بيدي رأيه واعتقاده بوجود الحياة بعد الموت.

ب) استبدال المصدر الميمي باسم المفعول

فلا تُبَعِدَنَّ إِنَّ السَمْنِيَّةَ مَوْعِدٌ وَكَلُّ امرئٍ يَوْماً بِهِ السحالُ زَائِلٌ

(الحتي، ١٩٩١: ١٤١)

استبدل النابعة الذبياني المصدر الميمي "موعد" باسم المفعول "موعود" للدلالة على ذاتية الموت ولصرف المخاطب عن عدم الاعتقاد بأنّ الموت ليس أمراً ذاتياً «لأنّ المصدر الميمي يحمل معه عنصر الذات ونهاية الأمر» (السامرائي، ٢٠٠٧: ٣١-٣٢). فالموت من وجهة نظر الشاعر ذاتي ملازم للإنسان، فهو في ذاته معه في كل لحظة ونهايته إلى الموت.

ج) استبدال اسم المفعول باسم الفاعل

فَكَلُّ ذِي نَعَمَةٍ مَخْلُوسٌ وَكَلُّ ذِي أَمَلٍ مَكْذُوبٌ
وَكَلُّ ذِي إِبِلٍ مَوْزُوتٌ وَكَلُّ ذِي سَلْبٍ مَسْلُوبٌ

(الشنقيطي، لاتا: ١٧٣)

فالشاعر عبيد بن الأبرص لإزالة الإيهام أمام المخاطب بعدم حدوث الموت استعاض اسم المفعول «مخلوس. مكذوب. موروث. مسلوب» باسم الفاعل على أن «اسم المفعول ما دلّ على الحدث ويقال فيه ما قيل في اسم الفاعل من حيث دلالة على الحدوث والثبوت فهو يدل على الثبوت إذا ما قيس بالصفة المشبهة وعلى الحدوث إذا ما قيس بالفعل. فهو يدل على الحال والاستقبال والاستمرار» (السامرائي، ٢٠٠٧: ٥٢).

فالإنسان سيخلص بالموت وعندما يموت سيورث وتُنهب أمواله، وأمله إلى البقاء على الحياة لم يتحقق.

(د) استبدال المعرف بال بالنكرة

يا هَندُ يا أُختَ بني الصارِدِ ما أنا بالباقي ولا الخالِدُ

(الأصمعي، ١٩٩٥: ٢٥)

استعاض الشاعر خُفأً بن نُديّة المعرفة بالنكرة لإثبات عدم بقائه في الدنيا تأكيداً من أنّ الراحل عن الدنيا هو الشاعر لا غيره لكي «يزول الشيع في المسمى، والإيهام يختفي بسبب تحديد المدلول وحصره في واحد معين فلا ينصرف الذهن إلى غيره، ولا يمكن أن ينسب الوجود لسواه. والمعرفة تمنع الاشتراك التام في معناها ومدلولها» (حسن، ١٩٧٥: ٢٠٧/١-٢٠٨) «وذلك لأنّ الاسم المنكر هو الواقع على كلِّ شيء» (المبرد، ١٩٩٤: ٢٧٦/٤).

(هـ) استبدال الجمع السالم بالمكسر

دَهَنتي الحادِثاتُ بِهِ فَأَمَسَتْ عليّ هُمومُها تَغدو وتَسري

(طماس، ٢٠٠٤: ٤٤)

استبدلت الخنساء الجمع السالم "الحادِثات" بالمكسر "حوادث" للدلالة على أنّ فعل المصيبة يحدث في كل لحظة وذلك باستمرارٍ عليها، وأنّ الحادثة مستمرةٌ مكررةٌ عليها لأنّ ما «يراد بالجمع السالم، الدلالة على الحدث نظير الراسيات بالرواسي في سورة سبأ من الآية ١٣» (السامرائي، ٢٠٠٧: ١٢٨). «فجمع الصفات جمعاً سالماً يقرّبها من الفعلية» (السامرائي، ٢٠٠٧: ١٢٦).

(و) استبدال الجمع المكسر بالجمع السالم

إنّ الحوادِثَ يَخترَمَنَ وإتَمّا عُمرُ الفَتى في أهله مُستودَعُ

(الضبي، ١٩٩٢: ١٤٨)

استبدال "الحوادث" جمع التكسير بـ"الحادِثات" بواسطة عبّدة بن الطيّب عكساً على استبدال الخنساء وذلك للدلالة على الثبوت بنزول الموت؛ حيث «يراد بجمع التكسير الدلالة على الاسمية» (السامرائي، ٢٠٠٧: ١٢٨). بناءً على أنّ الاسم يدلّ على الثبوت.

وهذا يعني أنّ موت الإنسان بواسطة المصائب والحوادث ثابتٌ، فالشاعر اعتقاده ثابت بالموت، ومتيقن بنزوله على الإنسان، لكن بمصائب الحياة.

الاستبدال الحرفي

استبدال حرف العطف بحرف العطف

أ) استبدال "أو" بالواو

وَاخْتَرْنَا لِنَفْسِكَ مَنَزِلًا تَعْلَمُو بِهِ أَوْ مُتَّ كَرِيمًا تَحْتَ ظِلِّ السَّقْمَطِ

(التبريزي، ١٩٩٢: ١٣٤)

عنتر بن شداد في الشاهد يخيّر مخاطبه بين السمو في الدنيا وبين الموت الكريم وذلك على ضوء استبداله "أو" بـ"واو" العاطفة حيث تأتي أو «للتخيير وهي الواقعة بعد الطلب وقبل ما يمتنع فيه الجمع» (الأنصاري، لا تا: ٨٤/١).

فيستبدل "أو" بـ"الواو" طالباً من مخاطبه باختيار الدنيا أو الموت وذلك بحسب إتيان "أو" «لأحد الشيعيين، تختار أحد الشيعيين، لا تجمع بينهما» (ابن يعيش الموصلي، ٢٠٠١: ١٨/٥).

ب) استبدال "الواو" بـ"ثم"

أَوْصِي بِنِيٍّ وَأَعْمَامِهِمْ بَأَنَّ السَّمَايَا لَهُمْ رَاصِدَةٌ

(عدرة، ١٩٩٤: ٤٩)

فالشاعر عبيد بن الأبرص بهذا الاستخدام أي استخدام الواو بدلاً من "ثم" يريد توجيه التوصية إلى الجميع من دون فاصل زمني؛ لأنّ «الواو» توجب الاشتراك بين شيئين فقط في حكم واحد فهي تدل على الجمع المطلق» (ابن يعيش الموصلي، ٢٠٠١: ٦/٥).

ج) استبدال الفاء بالواو

لَهَا مُدَّةٌ فَنُفُوسُ الْعِبَادِ إِلَيْهَا وَإِنْ جَاهَدُوا قَاصِدَةٌ

(عدرة، ١٩٩٤: ٤٩)

يستبدل عبيد بن الأبرص الفاء بالواو للدلالة على صيرورة الدهر إلى الموت شيئاً فشيئاً وعلى ملازمة المنية النفوس حيث يأتي الموت بعد مضي أيام الحياة فإن كان الشاعر يستبدل الواو بالفاء فلا يمكنه أن يبني دلالة توالي وترتيب أيام الدهر والحياة والموت تلو الآخر لأن «معنى الترتيب أنّ المعطوف بالفاء يكون لاحقاً لما قبلها» (السامرائي، ٢٠١٣: ٢٠١/٣).

(د) استبدال ثم والفاء بالواو

أَفَنَيْنَ عَاداً نُثَمَّ آلَ مُحَرِّقٍ فَتَرَكَنَهُمْ بَلَدًا وَمَا قَدَّ جَمَعُوا

(الضي، ١٩٩٢: ٥٣)

استبدل مُثَمَّمٌ بن نُؤيرة "ثم" بـ"الواو" دلالةً على وجود الترتيب بالقتل والفاء وذلك بعد مدة من الزمن. هذا يعني أنّ فناءهم استغرق مدة من الزمن ولهذا امتنع الشاعر أن يستبدل "الواو" بـ"ثم"؛ لأنّها «عاطفة معناها مطلق الجمع» (الأنصاري، لا تا: ٣٥١/٤).

أتا في الشطر الثاني فعدل باستبداله الفاء بالواو دلالةً على أنّ تركهم قتلى جاء عقب الفناء دون المدة الزمنية والترك كان تابعاً بالفناء وسببه الفناء. وهذا يدل على أنّ الفناء كان سبب الترك ولهذا امتنع الشاعر من استبدال الواو بالفاء لأنّه وقع بين فعلي "تركهم موتى والفناء" علاقة السبب بالمسبب لأنّ الفناء «وقع سبباً وعلّة لما بعده» (ابن يعيش الموصلي، ٢٠٠١: ١٣/٥). فكان امتناع الشاعر عن استخدام الواو واجباً لأنّ العلاقة المعنوية في هذا الشاهد بين الفناء والترك هي علاقة السبب بالمسبب.

استبدال حرف النفي بحرف النفي

استبدال "إن" بـ"لا"

وَمَا إِنْ أَرَى الدَّهْرَ فِي صَرْفِهِ يَمْعَادُ مِنْ شَارِخٍ أَوْ يَمْفُنْ

(المصطاوي، ٢٠٠٥: ١٩٣)

استبدل الأعشى ميمون "إن" بـ"لا" جوازاً بالاستخدام تأكيداً على قضاء الدهر على الشاب وغير الشاب جميعاً بحيث إنّ لفظة "إن" «زائدة إذا دخلت على جملة فعلية بعد ما النافية، على أنّها نافية مؤكدة لـ"ما» (الأنصاري، لا تا: ٣٣١/٣).

فلننظر إلى هاتين الجملتين:

ما لا أرى الدهر في صرفه.

ما أرى الدهر في صرفه.

فالـ"لا" الزائدة تفيد تأكيد النفي والإثبات؛ لأنَّ «من مواضعها الزائدة الداخلة في الكلام مجرد تقويته وتوكيده وتستعمل (إن) كثيراً في الإنكار إلى تأكيد النفي والإثبات» (السامرائي، ٢٠١٣: ٢٣٤/١).

فاستعاض "إن" بـ"لا" ليزيد من توكيده في إثبات نفي معنى البقاء وفي إثبات معنى قضاء الدهر على الجميع إذ «تُستعمل (إن) فيما فيه زيادةُ تأكيدٍ في النفي» (السامرائي، ٢٠١٣: ١٧٢/٤).

استبدال حرف التأكيد بحرف التأكيد

أ) استبدال "إن" بـ"إنما"

١. إِنَّ الرِّزِيَّةَ مِنْهُ حَبِوَةٌ يَوْمَ فَارَقَهُ صِحَابُهُ

(المصطاوي، ٢٠٠٥: ٤٨)

استبدال الأعمشى "إن" بـ"إنما" ليقسم بأن النازلة العظيمة هي الموت بحيث «تكون إن صلة للقسم» (المبرد، ١٩٩٤: ١٠٧/٤). وليؤكد بأن المصيبة عطاء لأنَّ «معنى إن توكيد» (ابن عقيل، ٢٠٠٨: ٣٤٦/١).

٢. إِنَّ المَمِيَّةَ، يَا عُبَيْلَةَ دَوْحَةٌ وَأَنَا وَرُوحِي أَصْلُهَا وَفُرُوعُهَا

(التبريزي، ١٩٩٢: ٩٢)

فالشاعر عنتر بن شداد كما مرَّ معنا رجَّح استعمال "إن" بدل "إنما" للتأكيد على أن الموت شجرة عظيمة وإضافة إلى استخدام القسم، وإزالة الشك عن المخاطب كرر الجملة "المنية دوحه" تأكيداً على سطوة الموت لأنَّ استخدام لفظة "إن" «توكيدٌ على نسبة الخبر للمبتدأ وإزالة الشك عنها أو الإنكار في تحقيق الغرض بمنزلة تكرار الجملة ويفيد ما يفيد التكرار» (حسن، ١٩٧٥: ٦٣١/١).

ب) استبدال "إني" بـ"إني"

فَقُلْتُ لَهَا: يَا عَبْلُ إِنِّي مُسَافِرٌ وَلَوْ عَرَضَتْ دُونِي حُدُودُ القَوَاطِعِ

(التبريزي، ١٩٩٢: ٩٧)

لا تحتاج نون الوقاية إلى ذكرٍ مع إنَّ إلا للضرورة دلالية للتأكيد؛ لأنَّ أصل معناها «للتوكيد» (الأنصاري، لاتا: ج٤: ٢٥٧) فعنتر بن شداد يتراجع عن إضافة نون الوقاية قصداً إلى تقليل تأكيده من رحلته إلى عالم آخر

و«ذلك إنّ اجتماع ثلاث نونات يزيد التأكيد» (السامرائي، ٢٠١٣: ٣٢٨/١). هذا يعني أنّ الشاعر قليل التأكيد من أن يرحل من الدنيا، وأنه متردد، في قلبه شك وريب.

استبدال حرف الشك بحرف التحقق وبالعكس

أ) استبدال "إن" بـ"إذا"

أَيَا صَادِحَاتِ الْأَيْكِ إِنْ مُتُّ فَاَنْدُبِي عَلَيَّ تُرْبَتِي بَيْنَ الطَّيُورِ السَّوَاجِعِ

(التبريزي، ١٩٩٢: ٩٧)

كان عنتر بن شداد مترددا في موته يطمع في الحياة لأنّ «إن لا تستعمل إلا في المعاني المحتملة المشكوك بحيث تستعمل فيما كان مشكوكا في وجوده.» (ابن يعيش الموصلي، ٢٠٠١، ج ٥: ١١٣) فاستبدال «إن» بـ«إذا» دلالة على معتقد الشاعر بأنّه يشك في موته.

ب- استبدال "إذا" بـ"إن"

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
نَدِمْتَ عَلَيَّ أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ وَأَنْتَ لَمْ تُرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصِدَا

(المصطاوي، ٢٠٠٥: ٧٠)

أراد الأعشى ميمون تخويف مخاطبه من أنّ الأفضل أن تعمل حسنا في دنياك حيث آخرتك فيها لكي لا تُصاب بالندم لأنّ الموت والهلاك حتمٌ محقق واقع بكل حي فلهذا عبر عن وقوع الموت المحقق باستبداله "إذا" بـ"إن" لأنّ «إذا تكون للمقطع بحصوله، وللكتير الواقع.» (السامرائي، ٢٠١٣، ج ٤: ٦١) فالشاعر باستبدله "إذا" بـ"إن" يعتقد بالموت الحتمي، الواقع على الإنسان.

استبدال حرف الشك بحرف اليقين

أ) استبدال "إمّا" بـ"أو"

إِنَّمَا قَتِيلاً وَإِنَّمَا هَلُكاً وَالشَّيْبُ شَيْبٌ لِمَنْ يَشِيْبُ

(عدرة، ١٩٩٤: ٢٠)

يستخدم عبيد بن الأبرص في هذا البيت "إمّا" للشك ولهذا «بيني الكلام معها على الشك من أوله بخلاف "أو" حيث يمضي أول الكلام على اليقين ثم يعترضه الشك بينما الكلام مع "إمّا" من أوله مبني على الشك»

(ابن يعيش الموصلي، ٢٠٠١: ٢١/٥). فالكلام بـ"إمّا" من البداية مبيّنٌ على الشك للدلالة على القتل في ساحة الحرب أو على الموت في الحياة هرماً.

استبدال ذكر الحرف بتجريد خبر النواسخ من الحرف

أ) استبدال حرف اللام بتجريد خبر إنّ منها

فَأَسْمَتْ عِنْدَ النَّصَبِ: إِنِّي لِهَالِكٌ بِمُؤَلَّفَةٍ، لَيْسَتْ بِغَبِطٍ وَلَا خَفْضٍ

(ناصر الدين، ٢٠٠٢: ٥٣)

«اللام» في هذا الشاهد غيرُ عاملةٍ جاءت تؤكد مضمون العبارة للدلالة على أنّ طرفةً بن العبد ميتٌ لأنّها «للابتداء، فائدتها تأكيد مضمون الجملة» (الأنصاري، لاتا: ٢٣٩/٣-٢٤١) فهي داخلة على الاسم لإضافة الثبوت بتوكيد الموت.

أما تأخرها فجاءت «للكراهية في افتتاح الكلام بتوكيدين» (المصدر نفسه: ج ٢٥٣/٣).

فالشاعر كان يرى تردداً في المخاطب بموته ولهذا أختَر «اللام» مؤكّداً على موته ليدفع الشك عن مخاطبه بـ«أنّ واللام» وذلك باحتماءهما معاً في العبارة لأنّه «يؤتى باللام في مواطن الرد والإنكار، إذ اجتماع إنّ واللام أقوى في التوكيد بأنّ وحدها على أنّه زيادة في التوكيد، فاجتماع إنّ واللام يكون عند المبالغة في التوكيد وذلك عندما يكون المخاطب منكراً» (السامرائي، ٢٠١٣: ٢٩٣/١-٢٩٧).

ب) استبدال حرف الباء بتجريد خبر ليس منها

١. وَكُنْتُ بِبَاكِ إِنِّي أَتَيْتِي مَسِيَّتِي وَكُنْتُ أَهْمُ فَتَجْرِي مَدَامِعِي

(التبريزي، ١٩٩٢: ٩٨)

استخدمَ عنترُ بن شداد "الباء" بدلاً عن تجريد النفي من الباء توكيداً بمعنى نفي بكائه في حالة احتواء الموت عليه ذلك أنّ الباء حرف "توكيد" (الأنصاري، لاتا: ١٤٦/٢) وأنها «تدخل على الخبر غير الموجب» (المصدر نفسه: ١٧٠/٢). زائدةٌ «يجوز جر خبر ليس بباء الزائدة» (حسن، ١٩٧٥: ٥٦٠/١).

فكان بإمكانه إتيان خبر ليس دون الباء بالتجريد لكن عدم نفي البكاء عند نزول الموت هو أقل توكيداً فرجح مجيء الخبر بباء الزائدة للدلالة على تأكيد عدم بكائه عند نزول الموت. هذا يعني أنّه ليس خائفاً من الموت ولا يخشى نزول الموت.

٢. أَمِنَ السَّمُونُ وَرَبُّهَا تَتَوَجَّعُ وَالدهِرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مَنْ يَحْزَعُ

(الضي، ١٩٩٢: ٤٢١)

وتبعاً لخصائص الباء التي جاءت استبدال أبو ذؤيب لفظة «معتب» بـ«معتبا» للدلالة على التأكيد بأن الدهر صارم في حالة نزول الموت وهذا يعني أنّ الدهر لا يرحم الإنسان.

ج) استبدال حرف الباء بتجريد خبر ما النافية المشبهة بليس منها

فَمَا أَنْتَ إِذْ دَامَتْ عَلَيْكَ بِخَالِدٍ كَمَا لَمْ يَخْلُدْ قَبْلَ سَاسَا وَمُورِئُ

(المصطاوي، ٢٠٠٥: ١٢٦)

استخدم الأعمش ميمون خبر "ما المشبهة بليس" بالباء الزائدة ليؤكد على معنى نفي الخلود القطعي في الحياة والخلود الدائم ليس بالحياة لأنّ الباء «تدخل زائدة في الخبر والنفي بليس" و"ما"» (الرضي الأسترآبادي، ١٩٩٦: ٢/١١٦٦).

النتيجة

توصل البحث إلى أنّ:

١. دلالة الموت في الشعر الجاهلي مرتبطة بالاستبدالات اللغوية؛ لأنّ الوظيفة اللغوية لكل كلمة هي التي تنقل المعنى اعتباراً من اختلافها مع الوظيفة المتشابهة لها وذلك باستبدالها بالوظيفة الأخرى؛ لأنّ الفعل المزيد -على سبيل المثال- من حيث المبالغة والشدة في إبانة دلالة الموت أكثر دلالةً من المجرد، ولأنّ لفظة الاسم المشتق من حيث استمرار الموت وذلك لتبيين استمرار المصيبة والموت أكثر معنى وثبوتاً من الفعل، ولهذا كانت العلاقة بين دلالة الموت والاستبدال اللغوي وظيفية لغوية دلالية للتعبير عن دلالة الموت.
٢. الشاعر للتعبير عن اعتقاده الثابت بالموت يستخدم الاسم بدلاً عن فعل المضارع للإبانة عن ذاتية الموت يستعيز المصدر بالفعل وللتعبير عن استمرار البكاء يستبدل فعل المضارع بالاسم ليبين دلالة ديمومة البكاء المستمر وللإبانة عن الصيرورة إلى الموت يستبدل المزيد بالمجرد.
٣. الشعراء كانت آراؤهم المتعلقة بالموت مختلفة تناولوها من جوانب دلالية متنوعة من تعاضل، وحرص الإنسان على الدنيا بأدواتها، والشعور بفقدان الحبيبة ملاذاً بالموت، والإحساس بالشجاعة والبطولة عند الحرب والقتال فلا يمكن الحكم بسذاجة تفكيرهم وبدهامة إمعانهم بالموت لأنّ الاستبدالات

- اللغوية بالشواهد الشعرية التي ذُكرت تُثبت تحول دلالة الموت من معنى إلى معنى آخر كاستخدام الفعل بدل الاسم واستبدال الاسم بالفعل وذلك في مواقف لغوية دلالية مختلفة.
٤. دلالات الموت في الشعر الجاهلي انطلاقاً من الاستبدالات اللغوية بوظائفها وتمايزاتها وبناءً على ميزة اللفظة المستخدمة من اسم وفعل وحرف كانت عبارة عن استمرار مصيبة الموت لدى المصاب حزناً وأسى، وكانت تعبيراً عن الفناء المطلق الثابت في الحياة، والخلود الأبدي في دنيا الأخرى ومن هذا المنظار كانت عبارة عن صراع بين الدنيا والآخرة وكانت وسيلة للقتال في الحرب وأداةً للتأثر بفقدان المحبوب أو تعبير عن طمع في الدنيا وليس عن رؤية حقيقية عنها أو إبانةً عن اتعاض بالحياة ووصية بالآخرة.
٥. ميزة الاستبدال اللغوي كما وردت بحسب الأمثلة والشواهد هي التفريق الدلالي بين الوظائف اللغوية التي تنشئ الدلالات وصولاً إلى المعنى المقصود، ومن هذا المنطلق ميّز الشعراء بين الاستبدالات اللغوية للتعبير عن دلالات الموت المتنوعة في الشعر الجاهلي لأنها تعتبر فارقا بارزا للتفريق بين ميزة الكلمات للوصول إلى الدلالة.
٦. يؤدي الاستبدال بترابط النص لأنه علاقة لغوية دلالية بين عنصر لغوي سابق وعنصر لغوي جديد وذلك يهدف إلى فهم الدلالة المطلوبة عن طريق إحلال عنصر لغوي مكان آخر وهذا ما يعيّر البنية الشكلية اللغوية للعبارة من بنية الاسم إلى الفعل وبالعكس ومن هذا التمايز الاستبدالي يمكن الوصول إلى الدلالة بل الدلالات.
٧. التمايزات اللغوية تنوع الاستخدامات اللغوية اسما وفعلا وتركيبا وصيغةً دون تخلخل سياق الكلام وتزيد من الدلالات علاوةً على تماسك النص كاستخدام مكرر فعلي بصيغة واحدة وتوظيف مكرر اسمي بمشتق يزيد من اتساق النص بين المفردات ذلك أن مرجع الضمير واحد، ودلالة الموت متوحدة انطلاقاً من مفردة واحدة بصياغة واحدة.
٨. يساهم الاستبدال اللغوي في وصف النص لغوياً ودلالياً وفقاً لبعدين؛ البعد الدلالي والبعد التركيبي وذلك للاستيعاب المتنوع لمقصود المنشئ انطلاقاً من إحلال كلمة أو كلمات محل كلمة أخرى وبناءً على هذا تنوع الدلالة وتتسنى للقارئ دلالة الموت بمختلف مقاصدها.

المصادر والمراجع

١. ابن الجني، أبو الفتح عثمان (١٩٥٤م). *المنصف لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني*. تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، القاهرة: إدارة إحياء التراث القديم.
٢. ابن زكريا، أحمد بن فارس (١٩٧٩م). *معجم مقاييس اللغة*. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر.
٣. ابن عقيل الهمداني، محمد بن عبدالله (٢٠٠٨م). *شرح ابن عقيل على الألفية*. تحقيق: محي الدين عبد الحميد، طه، قم: منشورات استقلال.
٤. ابن يعيش الموصللي، موفق الدين أبي البقاء (٢٠٠١م). *شرح المفصل للزمخشري*. تعليق إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية.
٥. الأضمعي، أبو سعيد عبد الملك (١٩٩٥م). *الأصمعيات*. تحقيق: عمر فاروق الطباع، طه، بيروت: دار الأرقام للطباعة والنشر.
٦. الأنصاري، ابن هشام (لا تا). *معني اللبيب عن كتب الأعراب*. تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت: مركز السلسلة التراثية.
٧. التبريزي، الخطيب (١٩٩٢م). *شرح ديوان عنتر بن شهاد*. تقلد: مجيد طراد، بيروت: دار الكتب العربي.
٨. جيرو، بيبير (٢٠١٧م). *علم الدلالة*. ترجمة: منذر عياشي، دمشق: دار نينوى.
٩. الحني، حنا نصر (١٩٩١م). *ديوان النابغة الذبياني*. بيروت: دار الكتب العربية.
١٠. ————— (١٩٩٣م). *ديوان لبيد بن ربيعة*. تقلد وشرح الطوسي، بيروت: دار الكتب العربي.
١١. حسان، تمام (١٩٧٩م). *اللغة العربية معناها ومبناها*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٢. حسن، عباس (١٩٧٥م). *النحو الوافي*. القاهرة: دار المعارف.
١٣. خطابي، محمد (١٩٩١م). *لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب*. بيروت: المركز الثقافي العربي.
١٤. الراجحي، عبده (١٩٨٦م). *النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج*. بيروت: دار النهضة العربية.
١٥. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (٢٠٠٥م). *المفردات في غريب القرآن*. طه، بيروت: دار المعرفة.
١٦. الرضي الأسترايادي، محمد بن الحسن (١٩٩٦م). *شرح الرضي لكافية بن الحاجب*. تحقيق: يحيى بشير مصري، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
١٧. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (١٩٩٣م). *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق: مصطفى حجازي، الكويت: وزارة الإعلام.

١٨. ————— (٢٠٠١م). *تاج العروس من جواهر القاموس*. مراجعة: محمد حماسة عبد اللطيف، الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
١٩. الرمحشري، أبو القاسم محمود بن عمر (٢٠٠٤م). *المفصل في علم العربية*. تحقيق: فخر صالح قدارة، عمّان: دار عمار.
٢٠. السامرائي، فاضل (٢٠٠٧م). *معاني الأبنية في العربية*. عمّان: دار عمار.
٢١. ————— (٢٠١٣م). *معاني النحو*. بيروت: مؤسسة التاريخ العربي.
٢٢. سيبويه، عمرو بن عثمان (١٩٩٨م). *الكتاب*. تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي.
٢٣. الشنقيطي، أحمد الأمين (لا تا). *المعلقات العشر وأخبار شعرائها*. القاهرة: دار النصر للطباعة والنشر.
٢٤. الضبي، المفضل بن محمد (١٩٩٢م). *المفضليات*. تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون، ط١٠، القاهرة: دار المعارف.
٢٥. طماس، حمدو (٢٠٠٤م). *شرح ديوان الخنساء*. ط٢، بيروت: دار المعرفة.
٢٦. ————— (٢٠٠٥م). *ديوان زهير بن أبي سلمى*. ط٢، بيروت: دار المعرفة.
٢٧. عامر حسن، عرفة عبد المقصود (لا تا). «ظاهرة الاستبدال في نحو الجملة ونحو النص». *مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية*، دبي.
٢٨. عدرة، أشرف أحمد (١٩٩٤م). *ديوان عبيد بن الأبرص*. بيروت: دار الكتب العربي.
٢٩. الفراهيدي، الخليل بن أحمد (٢٠٠٣م). *العين على حروف المعجم*. تحقيق: عبدالحميد الهنداوي، بيروت: دار الكتب.
٣٠. المبرد، محمد بن زيد (١٩٩٤م). *المقتضب*. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ط٢، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي.
٣١. المصطاوي، عبد الرحمن (٢٠٠٥م). *شرح ديوان الأعشى*. بيروت: دار المعرفة.
٣٢. ناصر الدين، مهدي محمد (٢٠٠٢م). *ديوان طرفة بن العبد*. ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية.
٣٣. يعقوب، إميل بديع (١٩٩١م). *ديوان حارث بن الحلوة*. بيروت: دار الكتب العربي.
٣٤. ————— (لا تا). *موسوعة النحو والصرف والإعراب*.